

عن
الاختيار الثوري

الصحراء المغربية
بين الاطماع الامبريالية
الرجعية
والتحرير الشعبى الحقيقى

نضالات الجماهير الشعبية المغربية من أجل التحرر الوطني وخيانات الحكم الاقطاعي

ان النضال التحرري ضد الغزو الاجنبي قد ارتبط تاريخيا لدى الجماهير الشعبية المغربية ، بالنضال ضد حلفائه المحليين من الشمال الى الجنوب ، ولقد سجلت الجماهير الشعبية في اقليم الصحراء نضالات تاريخية لا تقل اهمية عن المقاومة الشعبية المسلحة في جبال الاطلس أو في جبال الريف بقيادة عبدالكريم الخطابي .

ومن بين هذه النضالات ، تلك التي قادها ماء العينين ، الذي تمكن من توحيد قبائل الصحراء ، في نضال مشترك ضد الغزو الاستعماري وضد الاقطاعية وممثلها السياسي السلطان عبدالعزيز المشهور بخياناته ، وتعامله مع الاستعمار .

ولقد اكتسى هذا الزحف الجماهيري طابع الانتفاضة الشعبية المسلحة التي انطلقت من الجنوب مكبدة العدو خسائر فادحة ، ثم توجهت نحو الشمال - باعتبار ان المراكز الاساسية للاستعمار والاقطاع توجد هناك - موحدة في طريقها قبائل المناطق السهلية والجبلية في نضال تحرري موحد . وهكذا دخل ماء العينين مدينة مراكش منتصرا حيث اعلن عدم مشروعية مخزن عبدالعزيز . ولقد استمر ماء العينين بعد ذلك في حشد الطاقات الجماهيرية ، والزحف بها نحو الشمال ، وحقق انتصارات مهمة الى ان اصطدم في نادلة بالجيوش الاستعمارية بقيادة الجنرال موانبي .

الا ان هذا التوقف ، الذي عرفه النضال ضد الغزو الاجنبي في الجنوب المغربي ، لم يكن الا مؤقتا . ذلك انه مباشرة بعد الاعلان عن عقد الحماية بين المخزن والسلطات الاستعمارية ، نظمت قوات الاحتلال هجوما عاما على منطقة الصحراء لتثبيت هيمنتها ، لكنها اصطدمت بصمود الجماهير الشعبية بقيادة الهبة (ابن ماء العينين) الذي نظم من جديد المقاومة الشعبية المسلحة عبر الساقية الحمراء ووادي الذهب ، وتوجه بها نحو الشمال الى ان دخل مدينة مراكش . ولقد جاءت هذه الانتصارات في نفس الوقت الذي عرفت فيه مجمل المناطق الاخرى انتفاضة عامة ضد المخزن احتجاجا على عقد الحماية . ولقد برزت قبائل زايان في الدور التنسيقي الذي لعبته بين الجنوب والشمال .

ولم تتمكن قوات الاحتلال من التغلب على الانتفاضة الشعبية بقيادة الهبة الا بسبب تأمر القواد الاقطاعيين بالجنوب الذين ضربوا الانتفاضة من الخلف لمساعدة الاستعمار على دخول مدينة مراكش ، وذلك بعد معركة « بن كير » التي سجلت فيها الجماهير الشعبية بطولات منقطعة النظير ، واستماتة رائعة للدفاع عن ارض الوطن ضد الجيش الاستعماري الفرنسي المجهز باحدث الاسلحة والعتاد .

ان هذه النضالات الشعبية ضد الاستعمار والاقطاع في الجنوب المغربي ، لتجدر بها المقارنة بالثورة الشعبية في الشمال بقيادة المجاهد عبدالكريم الخطابي . تلك الثورة التي اعطت احسن مثال في الصمود من أجل الدفاع عن الوطن ، كما ابرزت ارتباط النضال التحرري بالنضال الاقطاعي ، ومن أجل تحقيق الديمقراطية .

ان مجمل هذه النضالات مرتبط بمسلسل النضال التحرري الذي خاضته القبائل فيما سمي « ببلاد السبية » على شكل مقاومة شعبية مسلحة ضد الغزو الاجنبي ، واخذ ابعادا وحدوية ، وذلك من خلال معارك ١٩٢٠ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، التي تمت بتنسيق بين القبائل المغربية والجزائرية ، مبرزة بذلك الطابع المصطنع للحدود التي وضعها الاستعمار من أجل توزيع غنيمة في المنطقة .

ان هذه المقاومة الشعبية المستميتة التي لم تخمد نارها مؤقتا الا بعد عشرين سنة من الكفاح ، ستجد استمرارا لها في النضال الذي خاضته الحركة الوطنية ، وخاصة المقاومة وجيش التحرير .

ان النضال الذي خاضه جيش التحرير المغربي في الجنوب ، لم يكن يرمي الى تحرير الصحراء المغربية فحسب ، بل كان يستهدف كذلك ، دعم الثورة الجزائرية ، وتشكيل قاعدة خلفية أساسية لها ، وذلك في انساق تحرير مجموع المغرب العربي وفقا لاتفاقية مدريد البرمة بين قيادات الحركات التحررية الثلاث (المغرب ، الجزائر ، تونس) .

ولقد استجابت الجماهير الشعبية بالساقية الحمراء ووادي الذهب وموريتانيا لمبادرة جيش التحرير بحماس واستعداد ، وجندت كل طاقاتها للكفاح في صفوفه . وهكذا كانت الانتصارات الاولى في معركة « الدشيرة » و « العركوب » و « تكل » و « السطل » ... ثم معركة منطقة آيت باعمران التي تمكن جيش التحرير من تحريرها بقوة السلاح ، ثم محاصرة مدينة ايفني .

وفي الوقت بالذات الذي حرز فيه جيش التحرير على هذه الانتصارات الهامة ، بفضل النضال المباشر للجماهير الشعبية ، شرع الحكم الرجعي في تنفيذ مخططة للقضاء على حركة التحرير الجماهيرية بالمنطقة بواسطة سلسلة من الخدع والمؤامرات دشنها بافئعال حوادث تافيلالت « بدعوى انقاذ محمد الخامس من خطر حزب الاستقلال » . وبتنسيق مع الاستعمار الاسباني والفرنسي ، تمكن من تلقيم جيش التحرير بعناصر المخابرات ، وشن حملة دعائية واسعة النطاق رددتها مجموع الصحف الاستعمارية ، للتشكيك في اهداف جيش التحرير بافئعال المؤامرات ضد القصر ، ومضايقة الثوار الجزائريين باسم جيش التحرير .. وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا مرغمة للجلاء تحت ضغط القوات التحررية ، بادر الحكم بالتنسيق

معها حيث طالب منها تأجيل الجلاء حتى يسهل عليه اقالة الحكومة الوطنية انذاك . ولقد انتهى هذا المخطط الرهيب الى التآمر على خطة تحرير الصحراء المغربية وافتسالها ، وتصفية جيش التحرير باعتقال قادته ومناضليه ، ودمج بقاياها في « القوات المسلحة الملكية » ... كل ذلك بتنسيق مباشر مع الحكم الاسباني .

وهكذا يتحمل الحكم الاقطاعي الرجعي المسؤولية تاريخيا في التفريط بالسيادة الوطنية لجزء من التراب الوطني ، كما يتحمل مسؤولية اغراق الاستقلال من محتواه الحقيقي ، واتحام بلادنا في فلك الاستعمار الجديد والامبريالية . ولا يفوتنا ان نشير الى ان الحكم قد تجاهل قضية تحرير الصحراء وسبئة واميلية والجزر الجعفرية طوال ١٩ سنة من الاستقلال الشكلي ، واكتفى بطرحها في المراسيم الدولية لغرض المصادقة على قرار « تقرير المصير » ، هذا القرار الذي نددت به الحركة الوطنية طول هذه الحقبة .

مخططات الامبريالية في الصحراء المغربية

ان تخطيط الامبريالية بالنسبة لمنطقة ما ، يعتمد بالاساس على ضمان مصالحها الاستراتيجية لغرض تثبيت هيمنتها الاقتصادية ، ونهب ثروات الشعوب ، وذلك لافصى مدى ممكن . وفي هذا الصدد ، تحظى الصحراء المغربية بعناية خاصة ، نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجي ، وضخامة ثرواتها الطبيعية .

فمن الناحية الاستراتيجية تتوفر الصحراء على ١٥٠٠ كم من شاطئ المحيط الاطلسي ، وتشكل بهذا قاعدة عامة لانطلاق الاسطول السادس الامريكي . اما القواعد العسكرية الامريكية الاسبانية الموجودة فوق ترابها والتي نقل اليها مجموع تجهيز قاعدة هوبس بلبيبا سابقا - تشكل اداة اساسية لمراقبة كل التحركات الشعبية في افريقيا الغربية والشمالية . كما

ان دورها يتكامل مع دور القواعد الامريكية الموجودة في بوقنادل ، وسيدي يحيى ، والفتيطرة ، وخاصة تلك الموجودة في سبنة والتي اصبح لها اهمية بالغة بالنسبة للامبريالية على اثر التغييرات الاخيرة في البرتغال . ان مجموع هذه القواعد تشكل قلعة امبريالية اساسية لمراقبة افريقيا والوطن العربي .

ومن الناحية الاقتصادية ، فان النهب المستمر الذي تتعرض له الثروات الطبيعية للصحراء الغربية (الفوسفات) يدخل ارباها طائلة للامبريالية بواسطة شركاتها الاحتكارية مثل « ترانس امريكا » ، « نيكساكو » ، « اطلس » ، « كروب » ، « س. ج. ج. » ..

ان الاختيار بين الحل الاول أو الثاني ، لا يهم الامبريالية الا في الدرجة الثانية ، ويتعلق فقط بترميم تناقضاتها الثانوية الداخلية ، وارضاء حلفائها المحليين . فسواء حققت هذا الحل أو ذاك ، فانها ستكون قد حافظت على الجوهر : تكريس واقع الاستعمار الجديد في الصحراء المغربية ، وضمان مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية .

تأمر الحكم الرجعي المغربي على حساب التطلعات الوطنية للجماهير الشعبية

لقد اثبت التاريخ النضالي للجماهير الشعبية ان الحكم الاقطاعي المغربي ما هو الا ذيل للامبريالية في البلاد ، ومنفذ امين لمخططاتها . ولقد جعل من قضية استرجاع الصحراء المغربية - بعد ان تناساها اكثر من ١٩ سنة - فرصة مناسبة لغسله من جرائم القمع الوحشي الموجه ضد الجماهير ، وامتصاص نقيتها الناتجة عن سياسته اللاشعبية ، مع محاولة التخفيف من عزلته الخارجية لاسترجاع ثقة حلفائه الامبرياليين ، وفك عزله الداخلية بالايهام « بوحدة وطنية حول العرش » لاضفاء الصبغة الوطنية على حكم أثبت عمالته وخيائنه .

ولبلوغ هذه الاهداف ، يحاول الحكم استغلال الشعور الوطني الاصيل للجماهير الشعبية ، ورغبتها الصادقة للحة في تحرير كامل الوطن مهما بلغت التضحيات .. ويحاول استغلال ذلك لفائدة دعايته الديماغوجية من اجل كسب الشعبية المفقودة ... في الوقت الذي لا تزال فيه السجون غاصة بالمناضلين الاحرار ، ويحضر لحاكمات مصطنعة جديدة ، وتخلق أبسط الحريات العامة ، وتقاسي الجماهير من ارتفاع في الاسعار وبؤس لم يسبق له مثيل

الا ان هذه الاهداف الخاصة بالحكم المغربي ، والرامية الى تقويته وتركيز دعائمه ... لا يمكنها ان تخرج - وكيفما كان الحال - عن نطاق تنفيذ المخطط الامبريالي الرامي الى تكريس التقسيم والتجزئة والخضوع للاستعمار الجديد . وهكذا يتراجع الحكم الاقطاعي المغربي عن « التحرير » المعلن ، ويكشف عن تواطئه مع الاستعمار والامبريالية . وان المفاوضات الاخيرة بين الحكم الاسباني والمغربي والموريتاني ، تحت رعاية الامبريالية ، سوف لن تكون نتائجها سوى تحقيق اهداف الاستعمار الجديد :

- ضمان مصالح الشركات الاحتكارية ، واستمرار الامبريالية في نهب ثروات المنطقة من فوسفات وحديد وثروات بحرية ..

- ضمان الوجود العسكري للامبريالية الامريكية على شكل قواعد عسكرية .

ان الحفاظ على هذه المصالح الاستراتيجية والاقتصادية ، هو المقياس الوحيد الذي يحدد تحركات الامبريالية بالمنطقة . ومن البديهي ان الشكل العتيق للاستعمار المباشر لم يعد يضمن هذه المصالح على المدى البعيد . ولانها ، وضعية الاستعمار المباشر ، تحظى الصحراء المغربية باهتمام خاص من طرف الامبريالية قصد تكريس واقع الاستعمار الجديد ، وضمان استمرار نهب الثروات الطبيعية ، مع تدعيم ركائز الرجعية المحلية . وفي هذا الصدد يبدو ان الامبريالية امام الاختيار بين حلين من الناحية العملية :

● الحل الاول : تكوين دويلة مصطنعة خاضعة للسيطرة الامبريالية من خلال المراقبة الاسبانية . وتشكل هذه الدويلة ، كيانا مستقلا يقطع جذور الارتباطات التاريخية الطبيعية للمنطقة ، واداة طيعة في يد الامبريالية لتنفيذ مخططاتها على المستوى الافريقي والعربي ، كما يضمن تركز الثروات الطبيعية ومراقبتها . وللتمهيد لهذا الحل ، حاولت الامبريالية وتحاول استقلال مكسب من اهم مكاسب نضال الشعوب : مبدأ تقرير المصير .

ان مبدأ تقرير المصير لا يمكن التمسك به بشكل مجرد ، بل لا بد من الاخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية التي تحيط بتطبيقه ، وهدي تجاوبه مع متطلبات النضال ضد الامبريالية والرجعية ، والحفاظ على وحدة الشعوب ووحدة ترابها الوطني .

وهن الواضح ، ان تكوين دويلة مصطنعة في الصحراء المغربية ، يناقض تماما مع الوحدة النضالية للجماهير الشعبية ، ويشكل ضربة في الصميم لوحدة الشعب المغربي ، كما يضمن للامبريالية محاصرة الدول التقدمية المتناقضة المصالح معها .

ولقد سبق للوطن العربي ان ذاق الامرين من نجاح الامبريالية في مثل هذا المخطط الرامي الى خلق كيانات مصطنعة تتركز الثروات الطبيعية ، وتشكل بياذق لها في المنطقة (الامارات العربية) .

● الحل الثاني : تقسيم الصحراء وتوزيعها بين حلفاء الامبريالية المحليين ، الحكم المغربي والحكم الموريتاني . ان هذا الحل يخدم نفس المصالح المذكورة ، ويأخذ بعين الاعتبار كذلك ، تدعيم وتركيز الرجعية المحلية باعتبارها منفعة للمخططات الامبريالية ، وكلب حراسة لمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية . ويبدو ان عدم ضم الصحراء للمغرب ، واختيار الحل التقسيمي ، يرجع بالنسبة للامبريالية الى عدم رغبتها في تركز مجموع الثروات في بلد أوضاعه قابلة للتغيير . هذا مع العلم ، انه في حالة انضاج هذا التغيير بفضل النضالات الجماهيرية المستمرة ، فان الامبريالية ستأخذ احتياطاتها لمحاولة ايجاد بديل يقطع الطريق على المحاولات الجذرية .

- السكوت النهائي عن سبئة وامليلية ، واستمرار الاستعمار الاسباني جائئا فوق ترابها .

- خاق حدود مصطنعة جديدة ، وتقسيم الصحراء المغربية لفائدة رفيق الحكم المغربي في التبعية للامبريالية : الحكم الموريتاني .

ان الحكم الرجعي المغربي لن يتردد في تنفيذ هذا المخطط بتحدى كامل للتطلعات الجماهيرية من اجل التحرير الحقيقي ، وبخيانة مكشوفة لتعبئتها واستعدادها وتضحياتها ، بل واكثر من هذا ، فان المساومة مع الامبريالية ستتقدم على شكل الانتصار الوطني الكبير ... انها عليية « ايكس ليبان » من نوع افزع .. لكن مسرحية الاصطدام بين حلفاء الامبريالية ، ثم التفاهم والاخوة والاتفاق ، سوف لن تكون نتائجها سوى كشف القناع عن اعداء الجماهير الشعبية .. اعداء الحرية والاعتناق .

النضال التحرري الوطني ... جزء لا يتجزأ من النضال ضد الامبريالية وحلفائها المحليين

ان استكمال السيادة الوطنية بتحرير الساقية الحمراء وادى الذهب وسبته وامليلية والجزر الجعفرية ، قضية وطنية لا جدال فيها اجمعت عليها القوات الوطنية والتقدمية ، وناضلت في سبيلها الجماهير الشعبية سواء في اطار المقاومة الشعبية بقيادة ماء العينين والهبة وعبدالكريم الخطابي والمقاومة وجيش التحرير .. او في اطار النضال السياسي الذي خاضته الحركة الوطنية عادة الاستقلال الشكلي .

الا ان أى نضال وطني حقيقي يحمل بين طياته صراعا طبقيا متاججا بين القوات الوطنية والتقدمية ، والقوات العميلة الرجعية ، فلا يمكن بالتالي فصله عن النضال ضد الامبريالية وحلفائها المحليين . وقد يكون من الخطأ الاستراتيجي القاتل اعتبار الحكم المغربي الحالي جزءا من القوات الوطنية بدعوى ان التناقض الرئيسي مع الاستعمار ... ذلك ان هذا الحكم القطاعي الرأسمالي ، ما هو الا ذيل للامبريالية وخادم امين لمصالحها .

ان النضال الوطني من اجل التحرر الشامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي يقتضي بالدرجة الاولى ، توحيد مجموع القوات الوطنية والتقدمية في نضال مشترك يعبي الجماهير الشعبية الكادحة ويصهر طاقاتها النضالية الخلاقة ، من اجل محاربة الامبريالية وعملائها محاربة لا هوادة ولا مساومة فيها .

ان هذا المفهوم الشعبي للنضال الوطني هو وحده الكفيل باستمرار نضال الجماهير الكادحة ، وفي طبيعتها الطبقة العاملة ، نحو تحقيق اهدافها في الديمقراطية والاشتراكية ، وفي افاق وحدة شعوب المغرب العربي كخطوة نحو وحدة الوطن العربي .

وحتى ماض قريب يوم كانت قضية التحرير في متناول الجماهير الكادحة ، وتعني الشعوب بالدرجة الاولى - وليس فقط مسرحية الحكومات والاراسيم الدولية - . فلقد أعطت مثالا دائما في النضال المشترك الوحدوي على مستوى المغرب العربي ككل ، من اجل تحريره من الاستعمار والانطلاق به نحو وحدة الجماهير الكادحة .

ان هذا المفهوم للتحرير الحقيقي الشامل المتجاوب مع سير التاريخ هو الذي ستحققه الجماهير بفضل نضالها المستمر الدؤوب . وبفضل الارتفاع التدريجي لمستواها التكويني والتنظيمي من خلال تجاربها النضالية .

